# سينما

## تحدّيات التمثيل عند توم هانكس

# الشخصيّات واقعية ومتشابهة لكن الأداء متنوّع

فيلمٌ جديد لتوم هانكس بعنوان «غرايهوند» يستكمل سيرة ممثل يُتقن تأدية أدوار سينمائية لشخصيات متشابهة واقعياً، لكن التمثيل متنوّع وجاذب

**نديم جرجوره**

شخصيات حقيقية عدّة يؤدّيها توم هانكس (كاليفورنيا، 1956) في أفلامٍ راسخةٍ في المشهد السينمائي، تتحرّر من نمطيّة تشويقية بحتة. شخصيات تبلغ عمق المأزق . الأخلاقي والنفسي والروحي . الذي يُصيبها جرّاء فعلٍ تراه الشخصيّة نفسها الأفضل والأحسن للآخرين، محاولةً عبره درء كلّ خطرٍ ممكن عنهم. ثنائية الشخصية الحقيقية ومواجهة أسئلة تصبّ في الأخلاقيّ والمهنيّ، كما في الحدّ الفاصل بين الواجب والتصرّف الفرديّ المنبثق من راهن الحدث، ركيزة سينمائية لهانكس الباحث عبر أدوار واقعيّة (وبعضها غير معنيّ بشخصيات حقيقية، بل بأفرادٍ يُمثّلون، أحياناً، أناساً عاديين) عن تناقضات التفكير والمهنة والسلوك والمسؤولية والعلاقة بالآخر، إنْ يكن الآخر مقرّباً منه أو غريباً «يتوجّب» عليه إنقاذه أو مساعدته في بحثه عن خلاصٍ ما، رغم الثمن الباهظ الذي يُضطرّ إلى دفعه لقاء تنفيذ مهمّة، ستكون واجباً يستند إلى الأخلاقيّ والنفسيّ والإنسانيّ والمهنيّ في آنٍ واحدٍ.

براعة أداء توم هانكس تحول دون تكرارٍ لصيغة واحدة في تمثيل شخصياتٍ، تجدُ نفسها في مآزق متشابهة. براعة تكشف تمكّنه من إزالة كلّ فرق بين تمثيل وواقع، أو بين حقيقة ومتخيّل سينمائيّ، من دونَ تصنّعٍ أو افتعال أو إلغاء لأولوية التوازن بين الحقيقيّ/ الواقعيّ والمتخيّل/ التمثيليّ. تشيزلي سولّينبرغر في «سولي» (2016) لكلينت إيستوود مثلاً، نموذج لتلك الثنائية المندمج أحد طرفيها بالآخر: شخصية حقيقية تُحاصَر بمأزق التساؤل عن أي فعلٍ بهدف الإنقاذ رغم المخاطر، وعن تضاربٍ الواجب بالمهنة وقواعدها، وعن صدامٍ قاسٍ بين ركائز العمل ومتطلّبات اللحظة. حنكةً والت ديزني، في «إنقاذ السيّد بانكس» (2013) لجون لي هانكوك، محتاجة إلى حِرفية تمثيلٍ تتجاوز مهنة الأداء إلى حالة تخبّطٍ، ممزوجٍ بجاذبيّة الشخصية الحقيقية لماري بوبّنز، وبمفردات المهنة وحاجاتها، التي يقع فيها أحد أبرز منتجي هوليوود، في ستينيات القرن الـ20. هذا ما يفعله هانكس. «كابتن فيليبس» (2013) لبول غرينغراس و«إنقاذ المجنّد راين» (1998) لستيفن سبيلبيرغ يمنحان شخصيتي القبطان ريتشارد فيليبس والكابتن جون أيتش. ميلر مساحةً لبحثٍ معمّق في الذات والوعي والتفكير عن فعلٍ يُفترض بالشخصيتين تحقيقه رغم تساؤلات جمّة تُختزَل بواجب ومسؤولية وضمير، وبمتطلّبات مهنة وانفعال إنساني وتفكير آنيّ بعواقب ونتائج.

> براعة أداء تحول دون تكرار صيغة واحدة لتمثيل الشخصيات

اللائحة طويلة. توم هانكس بارع في تقديم شخصيات كتلك، وأخرى تدور في المناخ الدرامي والجماليّ والإنساني نفسه، بعيداً عن تكرار يصنع مللاً، وعن تشابه في الأداء يُثير نفوراً. ورغم اعتماده على تفاصيل غير متغيّرة في أدوار كهذه، يكشف توم هانكس، دوراً تلو آخر، عن تفوّقه في تحرير نفسه من شخصية، بهدف الذهاب إلى أخرى تعاني أهوالاً متشابهة، وتتصرّف بوحي من اللحظة والأفعال الحاصلة والمناخ الشاهد على حدثٍ أو حالةٍ، فيكون التمثيل متعة، والمُشاهدة اختباراً جديداً في رحلة البحث عن تجديدٍ دائم في عيش الممثل، هو أيضاً، اختبارات مختلفة.

آخر تلك الأدوار يُؤدّيها توم هانكس في «غرايهوند» (2020) لآرون شنايدر. مُقتبساً إياه من رواية «الراعي الصالح» (1955) للكاتب البريطاني سيسيل سكوت فوريستر (1899 . 1966)، يصنع هانكس، كسيناريست، مشهدية سينمائية يتبوّأ فيها الصدارة، متجوّلاً بين مساعدين يُنفّذون أوامر إرنست كْرَاوْزا (هانكس)، قائد المدمّرة الأميركية «كيلينغ» (اسم الرمز في الاتصالات اللاسلكية «غرايهوند»)، في أول مهمّة له في شمال المحيط الأطلسي، في فبراير/ شباط 1942. التحدّيات كثيرة، فالحرب العالمية الثانية مندلعة بعنفٍ، والصدامات البحرية بين الحلفاء والنازيين غير منتهية، والغوّاصات الهتلرية تجهد في منع كلّ تواصل بين الولايات المتحدّة الأميركية . المنخرطة في تلك الحرب بعد الاعتداء الياباني على بيرل هاربر، في 7 ديسمبر/ كانون الأول 1941 . وبريطانيا، يهدف (التواصل) أساساً إلى تأمين حاجيات أساسية للناس. مهمّة تضع كْراوْزا/ هانكس في مواجهة نفسه مرّة أخرى، كما في مواجهة تحدّيات جمّة، يحاول أمامها إيجاد توازن بين مهنة وواجب.

لا علاقة لعنوان الرواية بثاني فيلمٍ روائيّ يُخرجه الممثل الأميركي روبرت دي نيرو (ويمثّل فيه أيضاً). فـ«الراعي الصالح» (2006) لـ دي نيرو يغوص في عالم الاستخبارات والحرب الباردة، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية أيضاً، بينما رواية فوريستر معنيّة بحالةٍ نفسية يعانيها قائد مدمّرة أميركية تحمي سفناً عدّة من مخاطر الإبحار في مسافات غير محمّية من الطيران (ساعاتٍ عدّة تمرّ من دون تلك الحماية، لأسباب عسكرية وأمنية تفرض انسحاب الطائرات من مهمّاتها). حالاتٍ تبدأ من حياته السابقة على بدء مهمّته الأولى (علاقة حبّ غير مكتملة بسبب الحرب، كما في بداية الفيلم)، وتضع المعرَّض لها أمام أهوال حربٍ تحاصره بحراً، وتخترق ذاته المرتبكة بصمتٍ أمام مسؤولية إنقاذ الجنود من عنف النازيين.

بهذا، يكشف توم هانكس مُجدّداً معنى التمثيل المنصرف إلى تجديد لغته، أمام كاميرا تُعرّي المرء/ الشخصية/ الممثل، لكشف متطلّبات ومقوّمات ومعطيات تخدم النصّ الأصلي من دون تصنّع أو تكرار.

توم هانكس: تنويع دائم لأدوار درامية متشابهة (غاريث كاترمول/ Getty)

## أي معنى للوائح «أفضل الأفلام»؟

# تكرار سنوي لفعل غير مفيد

مؤسّسات إعلامية وصحافية غربيّة مرموقة تنشر إحصاءات واستطلاعات رأي صحافية ونقدية بين حين وآخر، وغالباً في نهاية عامٍ منصرم، تتعلّق بمسائل سينمائيةٍ، أبرزها تقليد، سنويّ غالباً، يتمثّل بلوائح يضعها نقّاد وصحافيون سينمائيون مختلفو الجنسيات والثقافات والأمزجة، يجتمعون على اشتغال في شؤون السينما. واللوائح تتضمّن اختياراتهم المتعلّقة بأفضل الأفلام المُشاهَدة في عامٍ فائت، أو في تاريخ السينما. تقليدٌ تتمسّك به مؤسّسات غربيّة (وتنسخه جهاتٌ عربيّة)، ترى فيه امتداداً لاهتماماتٍ نقدية، أو تكريساً لـ«تُحفٍ» يختارها هؤلاء من دون غيرهم، ويضعونها في واجهة المشهد.

هذا عمل صحافي بحت، لا علاقة له بالنقد، وإنْ ينطلق من نقدٍ يمارسه المشاركون في وضع تلك اللوائح في حياتهم المهنيّة اليومية. عمل منبثق من تفكير تدريسيّ/ تعليمي/ تلقيني بحت، كذاك المتمثّل بوضع «نجوم» تكشف رأي صحافي أو ناقد بأفلام تُعرض حديثاً، كأنّ صاحب الرأي غير راغبٍ في تحليل نقدي، أو كأنّ الفيلم بحدّ ذاته غير مستحقّ منه تحليلاً نقدياً، فيكتفي بـ«نجمة» أو أكثر تفادياً للتغاضي عن جانبٍ من مهنته، وتجنّباً لتحليل يعجز عن كتابته، أو لن يكون جاهزاً لتلك الكتابة.

الـ«أستذة» حاضرة في فعلٍ كهذا. اللوائح . وإنْ تحتوي غالباً على «تُحفٍ» تستحقّ أنْ تبقى منارات في صناعة السينما، وإنْ بعد سنينٍ على إنجازها . غير متمكّنة من تقديم شيء يمكن الركون إليه في كتابة أو نقاشٍ أو حوار، فهو خالٍ من تفاصيل أو معطيات، ومجرّد من كلّ فكرة أو معلومة أو تحليل أو رأي. فمنظّمو تلك اللوائح يريدون من نقّادٍ وصحافيين سينمائيين اختيار 10 أفلام يعتبرونها الأهمّ في عامٍ ماضٍ، أو 100 فيلم في تاريخ السينما. التفصيل الوحيد يتعلّق بتاريخ الإنتاج واسم المخرج والبلد الذي ينتمي المخرج إليه، أو الجهة الإنتاجية الأبرز.



أورسون ويلز و«المواطن كاين»: أفضل فيلم من دون لوائح صحافية (آبيك/ Getty)

> نَفسٌ تعليميّ بالطريقة المدرسيّة غير المفيدة بشيء

في هذا نَفسٌ تعليميّ بالطريقة المدرسيّة غير المفيدة بشيء. لوائح كتلك تبقى أرشيفاً لعلّه يُساعد مهتمّاً يرغب في اختيار فيلم للمُشاهدة، بناء على «نصيحة» عابرة من ناقدٍ أو صحافي أو مؤسّسة إعلامية أو مطبوعة سينمائية، وبعض المطبوعات السينمائية تلك نقدية وفكرية. والاختيار، في حالةٍ كهذه، مرتبطٌ باسم فيلم أو باسم مخرج يميل المرء إليهما، وينفضّ غالباً عن اسمٍ الذي يختاره للائحة كهذه، فأسماء النقّاد والصحافيين السينمائيين أقلّ شهرةً بكثير من أسماء مخرجين، علماً أنّ لوائح كهذه غير معنيّة بممثلين وممثلات، هم أشهر من غيرهم، جماهيرياً، في صناعة السينما.

نادرون هم النقّاد والصحافيون السينمائيون الذين لهم شهرة واسعة عند مُشاهدين مهتمّين بالفن السابع بجوانبه كلّها. وإذْ ينقص عدد هؤلاء المشهورين في الغرب، فإنّ عددهم في العالم العربيّ أقلّ منه بكثير، وغالبيّتهم معروفة في عالم المهنة لا أكثر. بينما للصحافيين الفنيين، وإنْ يهتمّ بعضهم بالسينما، حضورٌ شبه طاغٍ في إعلام وصحافة عربيّين، غير مُهتمّين بالنقد والصحافة السينمائيين، على غرار الاهتمام الغربيّ بهما.

أما تلك اللوائح، التي يُشارك فيها عربٌ أو التي يصنعها عربٌ، فتبقى مجرّد لعبة لتسليةٍ عابرة، يظنّ نقّاد وصحافيون (عربٌ وأجانب) أنّها مفيدة نقدياً، أو فاعلة ثقافية، أو سليمة مهنيًاً. فالمهتمّ بالسينما أقدر، غالباً، على اختيار ما تطلبه نفسه وروحه وثقافته ورغباته ووعيه، بينما تملأ اللوائح فراغاً يحتلّ مهنةً بين حينٍ وآخر.

نديم...

### أفلام جديدة

■ Natalie Wood: What Remains Behind وثائقي للوران بوزورو، مع ناتالي وود (الصورة) وريتشارد بنجامن: بعد أقلّ من 40 عاماً على وفاتها، التي يقول البعض عنها (الوفاة) إنّها «غامضة» وغير واضحة الأسباب، وذلك في أثناء تمثيلها في فيلم خيال علمي بعنوان Brainstorm لدوغلاس ترامبول. الوثائقيّ هذا يستند أولاً إلى حديثٍ لابنة الممثلة، ناتاشا غريغسن فاغنر، التي تغوص في سيرة الممثلة وتفاصيل عيشها، مع أناسٍ عاشوا معها وعرفوا جوانب مختلفة من سيرتها الحياتية.

■ An American Pickle لبراندن تروست، تمثيل ساره سْنوك (الصورة) وسثْ روجن ومايا إرسْكين: يروي الفيلم حكاية هرشل غرينبوم، العامل المهاجر إلى أميركا عام 1920، مع حلمٍ عيش حياة أفضل مع عائلته. في أحد الأيام، أثناء عمله في مصنع، يقع وعاء يحتوي على مخلّلات محفوظة منذ مئة عام، بفضل محلولٍ ملْحيّ. لكنْ عند خروجه من المصنع، يكتشف أنّه لم يكبر يوماً، وعند بحثه عن عائلته، يخوض تجارب واختبارات شتّى، بعضها مخيف.

■ Jusqu'au Declin لباتريس لاليبرتي، تمثيل مارك . أندره غروندان وماريلين كاستونغاي (الصورة): استباقاً لاختبار البقاء على الحياة، بسبب وقوع كارثة ما، يتدرّب أنطوان على أنماطٍ شتّى من المواجهة، بهدف حماية نفسه وأفراد عائلته من موتٍ قد يُصيبهم عند وقوع كارثة. تدريبات مكثّفة تطرح عليه، وعلى المشاركين معه، أسئلة عن الحياة والموت والتحدّي والعلاقة بالآخر.

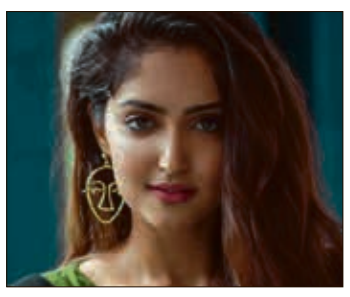



■ Forensic لأخيل بول وأنَاسْ خان، تمثيل توفينو توماس ومامْتا مُهانداس وريبا مونيكا جون (الصورة): يبدأ الفيلم بمشهدٍ يظهر فيه أبٌ مع ابنه داخل متجر لبيع اللحوم. في المنزل، يكتشف الصبيّ أنّ هناك رؤوس حيوانات مختلفة وجثثاً لها، محفوظة في المنزل، تحت سريره هو، ما يؤدّي بوالده إلى ضربه. بعد أعوام مديدة، يكبر الصبي ويقتل والده، وتبدأ رحلة أخرى من المغامرات والاختبارات.

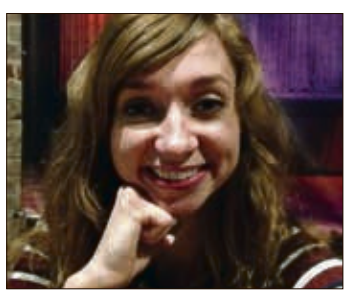



■ The Wrong Missy لتايلور سْبندل، تمثيل ديفيد سبايد ولورن لابْكوس (الصورة) ونِكْ سوارْدسن: يلتقي تيم امرأة أحلامه، فيدعوها إلى تمضية الوقت معه في احتفال تُنظّمه الشركة التي يعمل فيها. لكنّه سيلتقي في الاحتفال نفسه بامرأة تحمل الاسم نفسه، علماً أن المرأتين تختلف إحداهما عن الأخرى بنحو كبير.